المحاضرة الرابعة: أهمية مصادر تاريخ الجزائر الحديث

(في جوانب أخرى متعددة ومتفرقة)

هدف المحاضرة 4: أن يتعرف الطالب على أهمية مصادر تاريخ الجزائر الحديث في جوانب أخرى، عمرانية وقضائية ودبلوماسية ...وغيرها

سنحاول أن نذكر في هذا الشأن أهمية مصادر تاريخ الجزائر الحديث التي تم استنتاجها من خلال اطلاعنا ودراستنا لبعض المصادر، وليست كلها لأن هذا أمر مستحيل، والتي منها نذكر:

-في قضايا افتداء الأسرى، تنبئنا المصادر عن كيفية حدوث ذلك، ومبالغ الفداء، بحيث أن لكل أسير مبلغ فداء يتوقف على مهنته، مستواه، وظيفته، مكانته الاجتماعية وبنيته الجسدية[53].

-تحدثت المصادر عن حياة الأسرى والعبيد، سواء أسرى الدولة أو أسرى الخواص، وفي هذا السياق هناك كتابات عديدة تخص الأسرى الذين عاشوا في الجزائر[54]، إلا أن الاقتباس منها يتطلب الحيطة والحذر التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ والباحث على حد سواء.

-ذكرت المصادر علاقة العلماء بعضهم ببعض، وعلاقاتهم مع السلطة العثمانية، وعن هذه الأخيرة تم تصنيف العلماء إلى أربعة أصناف؛ الأول مع الحكام (مثل ابن ميمون صاحب كتاب: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الحزائر المحمية)**[55]، الثاني ضد الحكام (مثل عبد الكريم المغيلي مؤلف **تفسير القرآن الكريم، ورسالة إلى كل مسلم ومسلمة...)**[56]، الثالث هم العلماء المهاجرون (مثل ابن عمار الذي ألف **نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم**[57]، والمقري الذي ذاع صيته في التأليف، الكتابة،التدريس والفتوى، وتحفظ لنا المكتبات العديد من كتبه، والتي منها **رحلة**

المقري إلى المشرق والمغرب[58]..، بينما الصنف الرابع هم العلماء الثائرون (مثل الدرقاوي، زعيم الثورة الدرقاوية[59] بالغرب الجزائري على الحكم التركي).

-تحدثت المصادر عن الجانب العمراني وهندسة البناءات، في المنازل والمساكن مثل: الغرف، المطابخ، الساحات، الأروقة، المداخن، السلالم، النوافذ، الشبابيك، الأعمدة، النافورات، غرف الاستقبال والسقائف، كما تحدثت عن الدروب والشوارع، الأزقة والأنهج...[60]

-تحدثت عن الحمامات، العيون، عن نوعية المياه داخل المدن وخارجها، وعن شبكه المياه وكيفية التزود بهذه المادة الحيوية، وذكرت النظافة بالنسبة للأفراد والعائلات اليومية والأسبوعية، دون أن تهمل نظافة المدن، مع ذكر بعض الآراء المتحيزة في هذا الأمر للأجانب[61].

-يبدو أن الوثائق الأرشيفية بمختلف أنواعها فيها من المعارف والمعلومات المهمة والمفيدة عن تاريخ الجزائر الحديث في شتى مناحي الحياة، حيث نجد فيها معارف سياسية، معلومات اقتصادية، أخبار ثقافية، أنباء عسكرية وأمنية، وقضايا اجتماعية ودينية في غاية الدقة[62].

ملاحظة:

*هناك من المصادر ما نجد فيها معلومات متنوعة ومتفرقة في شتى الجوانب، مثلما دونه فاليار[63]، لوجي دي تاسي[64]، فونتير دي بارادي[65]، حمدان بن عثمان خوجة[66]، والحسن الوزان[67].

وهناك من المصادر ما نعثر فيها على معلومات خاصة بجانب معين مثلما دونه ابن زاكور الفاسي في رحلته **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان**[68](وهي رحلة دراسية

).

وهناك من المصادر ما نجد فيها معلومات تخص جانبين أو ثلاثة، مثلما كتبه الحسين الورتلاني في **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**[69]، وابن رقية الجديري التلمساني في مؤلفه: **الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**[70]

-يقول الأستاذ حميد آيت حبوش عن أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر(العهد العثماني أنموذجا) ما نصه:" إنه من العسير الخوض في تاريخ الجزائر العثمانية دون الاطلاع على ما كتبه الأوروبيون من **رحالة، وقناصل، وجواسيس ورهبان وسياح ومغامرين وأسرى،** الذين هم أجانب ودخلاء عن المجتمع الجزائري أقاموا بين أحضانه فترة من الزمن تركوا انطباعاتهم التي أصبحت مصدرا مهما في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، وقسم كبير من هذه المصادر لا يمكن أن نستغني عنها أبدا، ففي كتب هؤلاء الأوربيين شهادات وأوصاف وتواريخ مضبوطة وإحصاءات وقوائم حكام وتحليلات لحوادث خطيرة وتقارير وتفاصيل لا نجدها في غيرها من الكتب."[71]

-وفي نفس السياق، لا يجب أن نهمل المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث، لكي نتحقق مما كتبه الأجانب، ونقف على حقيقة الواقعة التاريخية كما حدثت، وفي ذلك يقول الأستاذ حنيفي هلايلي:" لأمد بعيد ظلت المصنفات الأوروبية والوثائق الأجنبية السبيل الوحيد لدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وبالرغم من غياب الوثائق العثمانية والمصادر المحلية سواء المكتوبة باللغة العربية أو التركية عن هذه الدراسات ألا أنها كانت حاضرة، لقد ظل الأمل معقودا على استغلالها وإماطة اللثام عن مجموعة من القضايا التي ظلت عسيرة الفهم وصعبة التفسير في ضوء الاعتماد على النصوص الأجنبية، ولقد انبرى دوفولكس بالعدد الهائل من الوثائق العثمانية التي اكتشفها، حيث قام بضبطها ودراستها ونشر العديد من ملفات الوثائق في شكل كتب مستقلة أو دراسات بالمجلة الإفريقية..."[72]

ومن خلال ما تقدم يجدر بالباحث والمؤرخ على وجه التحديد التنويع في المصادر أثناء عملية البحث العلمي، ومقارنة الآراء بعضها ببعض والتجرد من الأحكام المسبقة والنظرة الضيقة للحوادث والوقائع التاريخية، حتى يصل إلى التصور الحقيقي للأحداث وهذه هي غاية المؤرخ النزيه في اعتقادنا.

-تقدم لنا المصادر معلومات قيمة عن الأمراض والأوبئة، والكوارث الطبيعية التي كانت تجتاح الجزائر بين الفينة والأخرى، كما تذكر كيفية التصدي لها والتعامل معها(نظام الكرانتينة)، والمخلفات التي تتركها، ويحضرنا في هذا المقام وباء الطاعون الذي كان معروفا في تلك الفترة، وقد ألف فيه بعض الكتاب من أمثال حمدان بن عثمان خوجة(**إتحاف المنصفين والأدباء في مباحث الاحتراز من الوباء)** وأبو راس الناصر(**ما رواه الواعون عن أخبار الطاعون)**[73] .

-نجد في المصادر بعض الحروب والعمليات الحربية التي كانت تقع على الحدود مع دول الجوار، سواء مع تونس أو مع المملكة المغربية، كما تبين لنا المصادر أيضا بعض المعارك البحرية التي كانت تحدث بين حين وآخر في عرض البحر الأبيض المتوسط مع الدول الأجنبية[74].

-تقدم لنا الوثائق(وثائق المحاكم الشرعية، وثائق بيت المال ووثائق البايليك والوثائق السياسية)[75] التي تعتبر المصدر الأول في كتابة التاريخ معارف في غاية الدقة، اقتصادية، اجتماعية، سياسية، عسكرية، ثقافية ودينية...وغيرها، وربما معارف أخرى، فلكل وثيقة أهميتها الخاصة، واستنباط هذه الأخيرة يتوقف على خبرة الباحث وتمكنه وكذا تمرسه في هذا الميدان.

-ترسم لنا المصادر صورا حية عن ركب الحج ورحلة الحج منذ انطلاقها، مرورا بمسالكها وطرقها إلى غاية وصولها إلى مكة المشرفة والمدينة المنورة، وهي تزخر بفوائد جمة وأخبار

كثيرة عن الجزائر وبعض مدنها ومناطقها ونفس الأمر ينطبق على تونس وليبيا ومصر والبقاع المقدسة[76].

-الهوامش والإحالات الخاصة بالمحاضرة الرابعة:

(53)-حفيظة خشمون، **مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2006.

-احميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر، مذكرات تيدنا أنموذجا**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.

(54)-سيمون بفايفر، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

-جيريت ميتزون، **يوميات أسر في الجزائر1814-1816**، ترجمه إلى الفرنسية: ج.هـ.بوسكي وج.ق. بوسكي ميراندول، تعريب محمد زروال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

-جيمس ليندر كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في الجزائر**، ترجمة وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

(55)-ابن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية...**، المصدر السابق.

(56)-للمغيلي عبد الكريم العديد من التآليف، منه تفسير القرآن الكريم لكنه مفقود، كان مناهضا لأعمال اليهود في الصحراء للمزيد ينظر: مقدم مبرك، **رسالة إلى كل مسلم ومسلمة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.

(57)-ابن عمار الجزائري، **نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب...**، المصدر السابق.

(58)- أبو العباس أحمد المقري، **رحلة المقري إلى المشرق والمغرب**، تحقيق: محمد بن معمر، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، 2004.

(59)-أبو راس الناصر، **درء الشقاوة في حروب درقاوة** (مخطوط).

-محمد يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق: الشيخ: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

-أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

-مسلم بن عبد القادر، **أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم:** رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

(60)- نجد هذه المعارف في الكتابات الأجنبية، مثلما دونه: شالر، فونتير دي بارادي، لوجي دي تاسي، الدكتور شاو والأسير الإسباني هايدو ...وغيرهم كثير.

(61)- الكتابات الأجنبية السالفة الذكر.

(62)-من الدراسات الأكاديمية التي تناولت الأرشيف كمادة أولية نذكر:

-خليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.

-نجوى طوبال، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، طباع وزارة الثقافة، 2008.

-ودان بوغفالة، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية وملیانة** في العهد العثماني، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

(63)-PH.C. VALIERRE, Op.cit.

(64)-LAUGIER DE TASSY, Op.cit.

(65)-VENTURE DE PARADIS, Op.cit.

(66)-حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

(67)-الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2،

ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

(68)-ابن زاكوز الفاسي، المصدر السابق.

(69)-الحسين الورتلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974.

(70)-ابن رقية الجديري التلمساني، **الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة**، تحقيق: سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد3، الجزائر 1967.

(71)- آيت حبوش حميد، **أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر(العهد العثماني أنموذجا)، العدد 02، جامعة وهران، د.ت.**

(72)-حنيفي هلايلي، المرجع السابق

(73)-لمعرفة مادونه أبو راس الناصر ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(74)-ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008.

(75)-أرزقي شويتام، المرجع السابق.

(76)- والتي منها نذكر: الحسين الورتلاني، المصدر السابق.